صديقتي ملحدة

الكتاب : صديقتي ملحدة

الكاتب : صابر الجنزوري

تصميم الغلاف : محمد محسن

تنسيق داخلي : يوسف الفرماوي

مراجعة لغوية : سامح سرور

الطبعة : الأولى٢٠٢٠

رقم الإيداع: 2019/28027

الترقيم الدولي : 978-977-6783-16-4

الناشر : السعيد للنشر والتوزيع

المدير العام : لمياء السعيد

برج الهادي – الدور الأول - 36 ش عبد الحميد الديب – شبرا مصر

0222017260 – 01550096215

elsaidpublisher@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر

صديقتي ملحدة

مجموعة قصصية

تأليف

صابر الجنزوري

السّعيد
للنشر والتوزيع

إهداء

«حسب ما فى قلبك ترى»

الأهـل ، الأصدقـاء ، الأحبـاب ، أسرتى الحبيبـة ، وكل الذيـن التقيـت بهـم فى مشـوار الحيـاة فمنهـم مـن جمعتنـا الدراسـة والعمـل ومنهـم مـن علمونـا ومنهـم مـن جمعتنـا بهـم لقـاءات قصـيرة ومنهـم مـن التقينـا بـه فى العـالم الإفـتراضى الجديـد ولم نرهـم ومنهـم مـن التقينـا ومنهـم مـن كان دافعا وحافزا على الإستمرارية فى عالم الكتابة

بعين القلب أراكم وأكن لكم كل الحب والإمتنان وإليكم جميعا أهديكم هذا الكتاب .

صابر الجنزوري

سيدنا

فى دنيا الله كثير من البشر لهم أحوال، لا أحد يعرفها، فبينهم وبين المحبوب أسرار، وإذا اطلعت عليهم أنكرت ما يبدو منهم ولو كشفت عن قلوبهم سوف ترى الأنوار.

قال لى ذلك وصمت.

ظل ينظر إلي طويلا.

تدخل صاحبي المرافق لي في رحلتي بعد أن قالت عيناي إني لا أفهم شيئًا.

قال: يبدو أنه يعرفك قبل ذلك.

- لكني لم أره من قبل.

لم أكترث كثيرًا وفضَّلت المشاهدة.

رأيت تزاحم و تدافع البشر فى الطرقات و الشوارع ، ضوضاء كثيرة لكنها غير مزعجة ، فكل من أتى إلى هنا جاء إليها.

فى حجرة الفندق الكبيرة كنا هناك.. أمسك دفًّا، بدأ ينشد بصوت رخيم

دنيا الله مليئة بالأنوار.. ادخل ..عاين ..ستعرف كثيرًا من الأسرار.

قلت فى نفسى ما جئت إلا لأعرف.

ردَّد وراءه الحضور من الرجال والنساء.

توقف عن الغناء.. أمسك منديلا.. جفف به عرقه، ثم ألقاه إلي وقال : خذه و لا تخف!

توجست خيفة، نظرت إلى صاحبي..

- قال: خذه، هذه بركة مولانا خصَّك بها!

مدَّ مولانا يده فى جيبه، أخرج منه تمرًا، أعطى كل واحد تمرة، ماعدا المرأة التي كانت بيننا ويناودنها بالشيخة أعطاها تمرتين!

ضحك رجل قائلا: أخلفت القسمة يا مولانا

صدرت منه ضحكة عالية.. نهره بلطف : لو عرفت ما سألت!

ربَّت على كتفي صاحبي

قائلاً : هيا.. توزيع التمر نهاية الحضرة!

بينما أصافحه نظر طويلاً..

قال: حلمك الذي رأيته بالأمس ستقابله فى الطريق اليوم.

سحبت يدى من راحتيه، تسارعت نبضات قلبى، هرولت حتى وصلت إلى المصعد،

لذت بالكافيه بجانب الفندق، طلبت من النادل قهوة ونرجيلة لعلَّ نبض قلبي يهدأ.

بجانبي تجلس امرأة فى منتصف العمر، بيضاء، جميلة، فوق رأسها طرحة خضراء تداري شعرها عدا خصيلات شقراء تتدلى على جبهتها.

كانت تحتسي قهوتها مع نرجيلة مشابهة للتي معي.

أطالت النظر إلي، تبسمت، سألت: هل هدأ قلبك ؟

ارتبكت، لم أدرِ ماذا أقول، هززت رأسي موافقًا كلامها .

عاودت احتساء القهوة، والتجاوب مع نرجيلتي، أستنشق الدخان المحمل برائحة التفاح .

أدركني صاحبي، ما أن رآها حتى تهلل وجهه متوجهًا إليها : ست الكل هنا! لو عرفت لجئت إليك..

- أخركم مولانا عني..

نهضت من مقعدها، قالت:

هيا حاسب لي ولك.. سوف أركب معك سيارتك.. طريقك طريقي!

- اسمع الكلام.. هيا معها، لا تخف شيئًا، معك ستنا وست الكل نفحة الطريق.. هكذا همس لي صاحبي.

وجدت عطر عود يفوح داخل السيارة، لم يكن منها، ولم تنثره، لكن

مـن أيـن ؟

قرأت أفكاري..

قالت: لا تندهش، ولا تسأل.

- رأيت بما فيه الكفاية هذه الليلة.

- مازال هناك شيء لم تعرفه.

- وهل هناك شيء آخر ؟

- ألم يخبرك مولانا؟

تردَّد صدى صوته بداخلي : حلمك ستقابله اليوم فى الطريق !

أردفت : أنا رسولة سيدنا الذى رأيته في حلمك ومعي رسالة منه إليك!

سـاد الصمـت بيننـا حتـى انتهـى آذان الفجـر الـذي انطلـق مـن مذيـاع السيارة.

- توقف هنا.

أخذت يمين الطريق، همت بالنزول.

سألتها : ما الرسالة؟

قالت : سيدنا "يحيى" يرسل لك السلام!

تناولـت المنديـل لأجفـف عرقًـا انهمـر، شـممت رائحـة العـود النديَّـة كأنهـا وضعـت للتـو في المنديـل!

نزلت .. ناديت بأعلى صوت:

لقد كان هو !

ما المعنى؟

من أنتِ؟

مضت فى طريقها..

لم تلتفت وراءها..

ومازلت أبحث عنها

وعن الإجابة.

شجرة معلقة

صعد إلى الطور ، لمكان موسي وصل .
قال مثل قوله « لعلي .. أجد على النار هدى»
صرخ وهتف : إذا سألتك أن أراك حقيقة
فاسمح ولا تجعل جوابي لن تري !
وانتظر.
لم يسمع صوتا يناديه ولا شيئا رأي .
ما خر الجبل وما صعق .. فهبط .
أمام الشجرة المعلقة وقف .
أخرج قنينة مياه من حقيبته.
افرغ المياه فى حوضها وارتقب .
ما نمت وما تغير لونها ولا إلى السماء ارتقت .
خرج حزينا أدآسفا . ودمع من عينيه انهمر .
عند مغادرته هناك على اليمين باب ..فنظر .
أبصر الجماجم المتراكمة من التاريخ البعيد .
وجد بداخله صوتا وصدى ،
ناداه فاستمع ، ردد وراءه :
«الآن هل عرفت» ؟

هامش النص
إذا سألتك أن أراك حقيقة ..فاسمح ولا تجعل جوابي لن تري
من شعر عمر بن الفارض .

الجبل

أوحى إليه الجبل بكلمات فأتمهن : إذا أردت أن تعرف حقيقة البشر انظر لأسفل .. فنظر .

رأى كل الأشياء صغيرة .

لم يكن هناك سوى سكون خادع كسراب بقيعة وحركة لا يراها و لا يدركها أحد .

صوت الجبل يخترق أعماقه ،

وسماء تتشقق بأحزمة برق و ومضات مخيفة وهزيم رعد يدوى فى صحبة ريح شديدة تقتلع الشجر.

توقف كل شيء وانهمر المطر.

عاريا وقف يغتسل .

جاءه أمر الهبوط .. فنزل .

على قارعة الطريق جرى ، فى حضن أمه بكى وارتجف ، قالت الأم: الجبل وعر يا ولدى لا تطاوعه و إن عرض عليك ملء الأرض ذهبا ،

عاند وعصى و إليه رجع !

رأى ما رأى

سأل : كيف ؟

قال : عن الكيف تسل وتنسى السبب

ألم تقرأ يوم نسير الجبال؟

قال : متى ؟

أجاب: عندما ترانى نزلة أخرى !

وعن المصير لا تسل !

أخـذ قطعـة مـن الصخـر ، أعـد منهـا شريحـة ، وضعهـا تحـت عدسـة الميكرسـكوب ، فحصهـا ، عـرف عمـر الجبـل العتيـق ،

عناصر الصخر كانت معادن الخلق الأول ..

عندها نطق الصمت ولم يعقب ولم يندهش .. وانقطع وحي الجبل!

هديل الزمن

قال صاحبى الذى يؤمن بنظرية الطبيعة :

لا تظن أن أحدا يعود من الموت .

قلت : لسوف تبعث بعد موتك.

أردف ساخرا :

هل علمت منذ موت آدم بعودة ميت إلى الحياة ؟

كانت هناك فى السماء حمامات بيضاء ترفرف

وتتمايل وصوت هديل يغنى.

أشرت إليها ، قلت :

انظر تلك الحمامات عادت من الموت ، لقد كان عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا !

أتى صوته هادئا واثقا :

يا صاحبى هى لم تعد من الموت ،

الزمن الذى كانت فيه قبل الموت عاد فعادت معه سيرتها الأولى !

عودة قابيل

داخل النفق أوقدت الشموع ، إنها ليلة عيد الميلاد..

كانت الليلة الأخيرة من عام ألفين و تسعة و أربعين ..

السماء ملبدة بالغبار النووى ، اختفت الشمس تحت كتل أسمنتية اللون من الدخان المتصاعد ذى الرائحة الكريهة ، فى ذلك اليوم ..أعلنوا من كبسولاتهم التى يختبؤون فيها تحت الماء إنهاء الحرب ، قالوا : لم ينتصر أحد ..

على جثث المدن أعلنوا وقف القتال ..

تحركت من الشرق جيوش من سحاب محملة بالمطر ..

الطوفان الجديد ابتلع البنايات العملاقة..

غيض الماء..

راح أصحاب الكهف فى موت جديد ،خرج أهل النفق عميانا على وجوههم يهيمون ..

زلزال كبير يضرب الأرض ، و الأرض تمور ،تخرج الحمم المشتعلة ، تلقى بأثقال من الذهب والفضة على سطح قشرتها المتشقق ،يعود قابيل من الموت ينبش قبر أخيه..

يقف الغراب الأسود على مقربة منه..

لم يستطع أن يواري سَوْءَةَ أَخِيهِ ..

بينما صوت الدم المنبعث من جسد هابيل ينتشر فى الأفق ويتردد كصدى عنيف..

كان الغراب يحفر لأخيه قبرا جديدا .

نار و نور ..

«قصة قصيرة»

داخـل القبـو الكبـير ذى السـقف الذهبـى و الأرضيـة الرخاميـة و الحوائـط الحجريـة التـى تطـل مـن زمـن بعيـد .. أخـذ الحجـر الـذى تشـكل عـلى هيئـة جسـد طويـل مكانـه .

دخل الكاهن حاملا شمعته التى لم توقد بعد .

أمام الحجر ركع ..

ترنـم بكلـمات مرتعشـة ،واصـل صلاتـه بخـوف ، تبللـت لحيتـه فى لحظـة خشـوع .

فى تلـك اللحظـة انبثـق نـور أزرق مـن صـدر الحجـر ، مسـت الشـمعة ومضـة منـه ، أضـاءت ، خـرج ممسـكا شـمعته المضيئـة ، انتـشر النـور فى سـماء المحيـط الـذى تجمـع فيـه آلاف البـشر .

مست شموعهم النور المتصاعد ..

نـادى الكاهـن : باركـوا وجوهكـم بنـار شـموعكم ، ضعوهـا عـلى لحاكـم وجبينكـم وقلانيسـكم ..فإنهـا لا تحـرق !

هللوا ، غنوا ، نظروا للسماء ،

رسم النور قوس قزح ..

اسـتقر المشـهد ، صـار حمامـات بيضـاء تطـير فى حركـة هارمونيـة ، تعلـو و تهبـط، ترفـرف بأجنحتهـا وكأنهـا ترسـل بركاتهـا إلى الجمـوع الحاشـدة عـلى الأرض .

خـرج مـن بينهـا شـاب صغـير ، توجـه ناحيـة الكاهـن ، سـأله : أنـا لا أصـدق مـا أرى ..لا شـك أن فى الأمـر خدعـة كيـف ذلـك ؟

خبت الأنوار ، انطفأت النيران ، اختفت الحشود ..

أشار للسماء ..

غرقــت الحمامــات وســط الغيــوم والســحابات الرماديــة ، هاجمتهــا سـحابات بيضــاء ، غلبتهــا ، أخــذت مكانهــا ..

هنالك تشكلت سحابة أخيرة ..

«فارس يمتطى جواده الأبيض ويخترق السماء» !

وجد الكاهن الإجابة..

قال : هو ذاك القادم يا ولدى .

خارج الزمن

اطـمأن لقائـد سـيارته ، فى المقعـد الخلفـى جلـس وراءه ، كان قائـد السـيارة ماهـرا ،

يتحكـم فى عجلـة القيـادة باقتـدار ،يـسرع عنـد اللـزوم ، يهـدئ ليتفـادى مطبـات الطريـق ، يتوقـف عنـد الإشـارات الحمـراء ،يكبـح جـماح السـيارة عنـد الخطـر ..فى هـدوء يأخـذ وقتـه ولا يبـالي بسـاعات السـفر ..

بينـما هـو مستسـلم للصمـت ، مطمـئن ، لا يتحـرك ، ملتصـق بمقعـده، رابـط الجـأش ، رأى كل شيء مـن وراء النافـذة الزجاجيـة للسـيارة فى حالـة حركـة و صخـب ، هبـط المسـاء ، اختلـت عجلـة القيـادة ، لم يسـتطع قائدها كبـح جـماح الفرملـة الأخـيرة ، عبـث ببـصره ، رأى نزلـة أخـرى ،أصبـح قـاب قوسـين أو أدنى مـن نفـق مظلـم ، وحيـث لا عربـة و لا سـائق..

وجد نفسه من الحقيقة يقترب..

شاشة سوداء

هاتفنى صاحبى العلماني كعادته كلما قرأ أو سمع وشاهد جديدا فيما له علاقة بالدين من قريب او بعيد .

صاحبى صادق رجل مؤمن وموحد بالله، يصلى ويحافظ على فروض دينه ، لكنه يؤمن بالعلم ولا يثق فى الجماعات الدينية ولا الشيوخ وأصحاب الدقون والدعاة الجدد الذين يتصنعون البكاء ونحنحة الخشوع .

- هات ما عندك اليوم يا صادق ما الجديد لديك ؟

- اليوم ظهر نبي جديد !

استنكرت كلامه واسترسل كعادته :

النبي الجديد يقول أن اسمه أحمد وأن المسيح بشر به وهو ما جاء ذكره فى القرآن .

- كيف يا رجل ، ألا تعلم أنه لا نبي بعد محمد عليه السلام .

- الرجل يقول أنه رأى الله كنور يحدثه وأنه التقى بالنبي محمد ووثق ذلك فى صور ونشرها فى كل وسائل الإعلام والتواصل .

- انت تهرج يا صادق.

- لا تندهش يا مروان..الرجل سوف يظهر الليلة فى التلفاز ، فى الثامنة مساء ، و هناك بث مباشر له مع أتباعه .

صدقته وبدأت الإستعداد لمشاهدة الحدث الكبير .

ظهر الرجل وسط أتباعه فى زفة جماعية وكأنهم يزفون عريسا ، يمتطى حصانا أبيضا ، يحيط به أتباعه من كل جانب ، يرتدى عباءة سوداء فوق جلباب أبيض ، عمامة خضراء كبيرة تغطى رأسه الكبير ، وجهه يميل إلى اللون الأسمر مع أنف مدبب وعينين صغيرتين .

يهتف أتباعه مع صوت الدفوف : أحمد ..أحمد.. هو نبينا !

وآخرون يحملون صورة كبيرة له مع صورة لرجل ذى وجه أبيض متورد وعينين مكحلتين واسعتين ، تغطى رأسه نفس العمامة الخضراء .. إنها صورة الرجل التى ينسبها للنبي محمد والتقطها معه ..

توقفت الزفة عند بوابة القناة التى سيظهر فيها ويتحدث عن نبوته التى نزلت عليه من السماء !

داخل الأستوديو ، ظهرت المذيعة الحسناء وقد كشفت عن مفاتن أنوثتها الصارخة ، جلست فى مواجهته ، كشفت عن ساقيها ،سألته :

أراك لم تطلب منى أن أتحجب لمقابلتك ؟

قال : ليس فى شرعي حجاب..

للمرأة أن تفعل ما تشاء بنفسها !

- كيف .. ؟

- لها الحق أن تتزوج كما تشاء..

- أتقصد أن تعدد مثل الرجل ؟

- ولم لا ؟

- يا نهار اسود .. !

ماذا تعمل يا عم أحمد ؟

- الأنبياء يعملون بالتجارة و الرعي

و أنا أرعى الغنم وأتاجر بالحشيش !

- لا ..لا ..هذا كثير !

الحشيش ..سوف أطلب النجدة فورا .

- مهلا يا سيدتى ..الحشيش هو نجيلة الأرض ..كحشيشة الملاعب و ليس ما تبادر إلى ذهنك.

استاءت المذيعة ..

- دعك من هذا وأخبرنا كيف أصبحت نبيا ؟

- رأيت الله فى رؤيا ..خاطبنى ..قال أنت أحمد ..أنت النبي ..ثم رأيت النبي محمدا ..قال : أنت أحمد و أنا محمد ..بلغ عنى الناس ..و أنا معك و ناصرك ..طلبت منه صورة ..أعطاني صورته ..

أخرج من جيبه الصورة التى يضعها بجانب صورته و يحملها أتباعه..

صمتت المذيعة ولاحظت أنه يتلصص على ساقيها !

ارتبكت قليلا ، تغافلت عنه ..لم تدر ماذا تقول؟

فتحت الهاتف للتواصل مع المشاهدين .

مكالمات كثيرة تسبه وتتهمه أنه مدعي ، وأخرى تتهمه بمرض نفسى ، لكن المكالمة الأخيرة أربكت كل شيء

قال المشاهد : يا سيدتى أنتم تجلسون الأن وقد ظهر المهدي !

كاد يغمى عليها ، طلبت فاصلا اعلاميا .

عادت ، مازالت مرتبكة ..

قالت : اتصل بنا المهدى ..

وطلب مناظرتك وها هو فى الطريق إلينا.

وصل مع أنصاره ، دخل إلى الإستوديو..

كانت هيئته غريبة ، يبدو كما لو كان من العصور الوسطى ، علت الدهشة وجه المذيعة ، سألته :تقول إنك المهدى ..

كيف ذلك ؟

- بين يوم و ليلة كنت هناك معتكفا ، حتى أتى إمام المسجد ، سألنى من أنت ؟

قلت : المهدى حسين ..

قاطعنى : ابن علي ؟

- نعم ..أعطيته هويتى ، قرأ إسمى ، هتف .. والله لإنك هو !

صاح و نادى فى الناس و بايعنى .

قاطعه أحمد

- أنت كاذب ومدع

- و أنت كذاب أشر ..لا نبي بعد محمد.

انفعل أحمد :

- لا وجود لهذا الشيء الذي اسمه المهدى !

انتقلت الصورة على أتباعهما ..

كانوا يتعاركون ..

ثم عادت للمذيعة ..مازالوا يتجادلون ..

كل منهما يقول ..لا تصدقيه..

اشتبكا ..هاجمه أحمد الذي أمسك بكرسي وقذفه ناحية وجهه ..طارت الكراسي فى الهواء..

ضجيج عربات الإسعاف والنجدة بالخارج وضجيج العراك داخل الإستوديو يرتفع ..

انقطع البث ،استغاثت المذيعة ، لطمت خدودها ،صرخت بأعلى صوتها : الحقونا .

اسودت الشاشة !

من وراء ستار

الممثلون على خشبة المسرح ، المخرج والمساعدون والعاملون يساعدون الممثلين ويوجهونهم .

كنت أتابع الحوار كما كتبته على الورق .

انتهت البروفة ، نزلت من على خشبة المسرح ضاحكة .. قالت :

ما رأيك أستاذي فى الأداء ؟

لم تكن قد خلعت النقاب عن وجهها ، شعرت أنها مازالت داليا بطلة المسرحية المنقبة وليست نورين صديقتى الممثلة .

قلت : من أنت ؟ داليا أم نورين ؟

- التى أمامك هى داليا !

- داليا صاحبة النقاب .. كيف تعيش حياتها وراء نقاب ؟

- ها أنا ذا أبتسم وأضحك .. لكنك لم تر ضحكتى ولن تري دموعى إذا بكيت .. أليس كذلك ؟

- أنت على حق ، وإذا رأيتك فى الشارع لن أعرفك !

- هذه هى داليا و حياتها يا مجدى !

نزعت الستارة السوداء و ألقتها على المنضدة .

تدخل فى الحوار بطل المسرحية الذي لم يتخلص من لحيته بعد والذى يقوم بدور الشيخ الخضيري .

قال لى مازحا : تبا لك يا صاحبى سوف تجعل جمهوري يكرهني بعد هذا الدور ، لقد خافت نورين منى وأنا أمثل فما بالك بالجمهور؟

الشيخ الخضيري عنده كل الناس كفرة أو عصاة إلا جماعته.

التفت المخرج إلى المذيعة الجميلة سارة التى تقوم بدورها كمذيعة سافرة فى المسرحية وتقدم برنامجا تستضيف فيه الشيخ والكاتب

العلـماني المشـهور والمنقبـة داليـا .

يسألها المخرج عن رأيها فى المشهد ودلالته .

تجيبه : إنتفاضة الشيخ وتغير سحنته عند مواجهة العلماني الذي قال له لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين و أنه لا يعرف شيئا عن معنى العلمانية و أنها ليست كفرا كما يدعى ، ثم مقارنته بين داليا وبيني وتحذيره لي و ثناءه عليها و وعدها بالجنة و وعيدى بالنار ..أعتبر أن هذا المشهد هو الماستر سين فى المسرحية وكل الزملاء تفوقوا فى الأداء .

أضاف الممثل الذي يقوم بدور الكاتب العلماني : لا تنسي يا سارة قوله أتريدنا نصلي الجمعة يوم الثلاثاء و نحج فى البيت الأبيض !

مزحت نورين قائلة : ربنا يستر و الجماعة إياها لا يهدرون دمك أيها المؤلف العبقري !

لمحت الوجوم على وجه المخرج .

سألته : ما بك يا فنان ؟

صمت قليلا و أجاب: ربنا يسترها يا مجدى .

جاء موعد العرض الأول للمسرحية . الجمهور ملأ القاعة ، و حجوزات مشاهدة العرض امتدت لأكثر من شهر بعد نجاح حملة الدعاية ، لم يتبق سوى دقائق على فتح الستارة ، الممثلون فى المشهد الأول استعدوا ، و أنا أنتظر و أترقب فى قلق .

إذا بنورين تأتى إلي باكية ومعها المخرج الذي كان الحزن يخيم على وجهه

قالت نورين : لن نخرج للجمهور يا مجدي ، و أكملت بكاءها .

لم أستوعب ما تقول و لم أفهم شيئا . أقبل الشيخ الخضيري بلحيته التى تهتز مع كلماته الغاضبة داخل النص لكنها ارتعشت هذه المرة من الحزن و نزلت عليها الدموع من عين صاحبها الذي يقوم بدوره.

قال : لقد منعت داليا المسرحية .

النفير

تمنيت أن أدخل آلة الزمن و أخطف زيارة سريعة إلى الماضى .. لم أحب عصر يزيد و لا الرشيد أو ليالى الأندلس.

أحببت عصر المماليك ، و تخيلت نجم الدين أيوب وشجرة الدر و أيبك و أقطاي و قطز و بيبرس و قلاوون و قنصوه الغورى رغم ما كان بينهم من صراعات على كرسي السلطنة .

كنت أحب طومان باي وبقدر حبى له كرهت الغازى العثمانلى سليم وكرهت كلمة الخلافة ، وددت لو كنت هناك و منعت الغازى من قتل طومان وتمنيت لو أن العرب منعوا الغازى من الدخول إلى العراق و الشام و لم يصدقوا وهم الخلافة التى افتراها ونهب ثرواتهم .

رأيت جواسيسهم فى قاهرة المعز يطوفون فى الأسواق القديمة بأبواق و ينادون فيها باسم العثمانلى الفاتح ، و شاهدت طومان معلقا على باب زويلة يسخر من خاين بك و ابن مرعى الذى سلمه فتخيلت يهوذا و المسيح و العشاء الأخير.

قلت لنفسي و أنا أتأمل الحاضر : أحفاد خاين بك و ابن مرعى مازالوا يمارسون لعبتهم القديمة ، يزعقون فى نفير العثمانلى و يعيشون بيننا و يأكلون من خيراتنا و يطعنوننا فى الظهور !

نظرت من بلورة نوسترداموس على الغد

فعدت إلى الخارطة بكتاب الجغرافيا لأبحث عن نهر الأردن والفرات وجبل مجيدو و الأقصى و صخرة القبة و هيكل بن داوود، وجدت بالقرب شجرة معلقة فى طور سيناء و وجدت النيل يستعد للفيضان وبين البحرين برزخان!

التجمع الثالث

كل شيء كان هادئا ، الشوارع ، الميادين ، كالعادة أيام العطلات .

لم يكن أحد يعلم أن سماء ذلك اليوم الشتوى سوف تمطر فى آخر اليوم أخبارا عاصفة .

وسرعان ما حملت أنباء عن وجود تظاهرات بوسط البلد ووقوع اشباكات بين جهاز الأمن والمتظاهرين .

لم يهتم عبد الناصر صبرى بما سمعه من أخبار وخاصة من جاره المرسى غانم عندما التقى به بعد صلاة المغرب بالمسجد المجاور للعمارة التى يقيمان بها .

أخبره المرسى أن الأمر خطير و الأحداث تتصاعد و هناك دعوات لتظاهرات كبيرة فى اليوم التالى .

لم يبد عبدالناصر اهتماما بما قاله لأنه بعيد عن السياسة و لا يحبها ، فكل اهتمامه موجه لعمله بالبنك كمحاسب و لديه طموح كبير للترقي، ثم لأسرته ومشاهدة كرة القدم التى تدخل عليه السعادة عندما يفوز فريق الأهلى الذى يشجعه ، أو عندما يفوز المنتخب القومى ببطولة و يخرج للشارع يحتفل مع الناس ويصور فرحتهم ويفرح معهم .

و مساء الخميس يلتقى مع أصحابه بالداون تاون يتسامرون و يدخنون النرجيلة .

و رغم أنه فى منتصف العقد الرابع إلا أنه كان يعيش بروح شاب صغير يحب الحياة و الناس .

لو تصاعدت الأحداث هل ستخرج يا أخ ناصر معنا فى المظاهرات؟؟

كانت هذه كلمات المرسى الأخيرة قبل أن يتوقف المصعد بهما

ويتوجه عبد الناصر إلى شقته .

و كعادته يقابل كل شيء بابتسامة و أحيانا بسخرية أجاب : انتم مين يا عم ؟

أنا ما ليش فى المظاهرات دي لعبتكم و بتاعتكم انتم ،ثم أنا قلت لك كثيرا يا أخ المرسى إسمى عبد الناصر !

عموما المرسى هذه تقيله على لسانى ، سوف أناديك يا أخ مرسى و واحدة بواحدة يا عم .

و واصل ضحكاته البريئة إلى أن دلف لشقته .

فى صباح اليوم التالى كان المرسى يقف فى مدخل العمارة الرخامى مع بعض الشباب يتبادلون الحديث ، ألقى عليهم عبدالناصر تحية الصباح و هو يهم بالخروج للذهاب إلى عمله ، و لم يسلم المرسى من قفشاته عندما قال : متجمعين على خير و لا شر يا أخ مرسى ، صباحكم شكله مايطمنش ، و خرج ضاحكا ليستقل سيارته ، و ترك المرسى فى دهشة وابتسامة غامضة ارتسمت على وجهه .

لم يكن حديث العملاء المترددين على البنك وكذلك زملائه سوى عن التظاهرات و تصاعد الأحداث و نقل الأخبار من وسائل التواصل الإجتماعى .

« ربنا يستر» قالها ناصر لزميله أحمد عزت فى نهاية يوم الخميس و اتفقا على اللقاء الأسبوعى بالداون تاون .

لم يذهب أحد منهم للقاء الأسبوعى ، تصاعدت الأحداث و توالت الأخبار و الشائعات عن وقوع وفيات فى أماكن مختلفة و عن بداية التصادمات بين المتظاهرين و رجال الأمن .

ففى اليوم التالى الذى كان جمعة الثامن و العشرين من يناير تخلت الشرطة عن مواقعها و انسحبت من الميادين بعد تصادمات عنيفة مع المتظاهرين .

و بـدأ الخـوف يعـم أنحـاء البـلاد، فخـرج النـاس يحمـون أنفسـهم ، فكونـوا لجانـا شـعبية مهمتهـا حمايـة البيـوت و الأرواح و الممتلـكات مـن اللصـوص .

كان عنـد ناصيـة كل شـارع و مداخـل و مخـارج كل منطقـة لجنـة تتكـون مـن شـباب و رجـال مـن المقيمـين .

وجـد نـاصر و أحمـد عـزت نفسـيهما وسـط جمـع مـن الجيران فى وسـط الحديقـة التـى تتوسـط بنايـات تـؤدي لمدخـل المنطقـة التـى يقطنـون بهـا ، كل منهـم يحمـل عصـا غليظـة أو ماسـورة حديديـة .

كانـت كلمـة الـسر التـى سـوف تكـون حلقـة الوصـل بـين كل اللجـان هـى كلمـة « اللـه أكـبر» سـوف تنطلـق مـن ميكروفـون المسـجد ، ثـم يتـم تحديـد المـكان الـذى سـوف يتـم التوجـه إليـه .

إنهـا المـرة الأولى التـى يجلـس فيهـا الجـيران معـا ، كانـوا بالكثـير يعرفون وجـوه بعـض أو يصافحـون بعضهـم البعـض بعـد انتهـاء كل صـلاة جمعة .

فى لجنـة نـاصر و أحمـد عـزت كان هنـاك عـماد كامـل وكيـل النيابـة و مـروان حسـن مديـر مكتـب شـيخ الأزهـر ، و عـلى كـمال دكتـور صيـدلي و مايـكل شـكرى مهنـدس معـماري .

و كعادة ناصر يثير المرح بروح الدعابة ، قال لهم :

مش عيب عليكم تبقوا بهوات كبار و كل منكم يمسك عصا .

لم يكـن هنـاك حديـث غـير حديـث الثـورة و كل يـدلى بآخـر مـا سـمعه مـن أخبـار .

لكن المرسى غانم لم يكن بينهم و لم يفكر أن يكون معهم .

عند منتصف الليل

كانت الحادثة الأولى عندما تداعى صوت ميكروفون المسجد بكلمة السر وطلب من اللجان التوجه عند ميدان الجامعة الألمانية .

طلقات النار كانت كثيرة ، جرى ناصر و لجنته ناحية الجامعة ، ثمة رجل كان يسبقهم بخطوات و يطلق أعيرة نارية فى الهواء من مسدس يحمله ، و عند الميدان كانت اللجان قد اعترضت طريق عربة نصف نقل تحمل بعض الأجهزة والأثاث ، السائق أغلق السيارة على نفسه و رفض النزول ، الناس تستجوب الثلاثة رجال الذين قبضوا عليهم ، الرجل صاحب المسدس أطلق أعيرة نارية فى الهواء و أخرج السائق بالقوة ، استنطقه بطريقة احترافية ، بكى السائق واعترف مع الثلاثة الآخرين بالمسروقات التى نهبوها من قسم شرطة القاهرة الجديدة !

كانت نجدة الشرطة العسكرية قد وصلت إليهم و تسلمت اللصوص من لجنة الجامعة .

اصطحب ناصر و رفاقه الرجل الذى أصبح بطلا فى أعينهم و عزموه على كوب شاي ساخن و عرفوا أن اسمه العميد أحمد مصطفى والغريب أنه لم يكن يشارك باللجان و لكنه يظهر فى الوقت المناسب وفي أماكن مختلفة عند حدوث أي كارثة ليقبض على المجرمين .

يوم وراء يوم يمر و لا بديل عن رحيل النظام فكل المتظاهرين يهتفون «ارحل»

يظهر المرسى على شاشة إحدى القنوات الفضائية !

يتحدث عن الشهداء من الشباب ويبكى بحرقة و يختم كلماته مع المذيعة بقوله الرحيل هو الحل ..

ضغط ناصر على زر الريموت ليغلق جهاز التلفزيون عندما شاهد المرسي ،

كتم غضبه ، قال لصاحبه أحمد الذى كان يشاهد البرنامج معه :

المرسى بيعرف يمثل يا أحمد ..

يجيبه أحمد : نفسي أضربه يا ناصر !

فى الجمعة الأخيرة التى سميت جمعة الحسم رحل النظام وتخلى عن الحكم .

انتهت اللجان الشعبية و حلت محلها دوريات الشرطة العسكرية .

بقيت جمعة أخيرة و هى التى تلت جمعة الرحيل ..أطلقوا عليها جمعة النصر .

وصل ناصر و أحمد عزت إلى الميدان قبيل صلاة الجمعة بقليل ، لم يكن هناك موقع لقدم بكل الشوارع المحيطة بميدان التحرير ،

وبصعوبة صلوا الجمعة فوق قطعة صغيرة ضيقة من رصيف صغير أمام محل مغلق فى بداية شارع محمد محمود.

أتعرف من كان خطيب الجمعة يا ناصر؟ سأل أحمد

قال ناصر:

لا أعرف ، شعرت أن الرجل خطيب وممثل بارع .

أردف أحمد وهو يمسح نظارته : إنه فقيه جماعة المرسى ، جاءوا به خصيصا من قطر ليلقى هذه الخطبة .

كانت الأغانى تنطلق من منصات الميدان ويتوافد عليها مطربون ومطربات ، و الشرفات و المحلات و الناس تردد مع صوت شادية الذى كان أكثر انتشارا

« يا حبيبتى يا مصر»..

مرحبا بك فى الميدان يا أخ ناصر ..

يقولها المرسي وهو يمسك بكتف ناصر من الخلف .

يلتفت إليه و يحملق فيه أحمد مندهشا لظهوره المفاجئ يباغته أحمد بقوله :

هـو ميـدان أبـوك و لا أنتـم كتبتـوه عـلى إسـمكم ، يـا عـم أنـت اتكلـم كويـس .

- إهـدأ يـا أحمـد ، د.المـرسى يرحـب بنـا ، فلـم يكـن يتوقـع أن يرانـا هنـا .

ينظر المرسي بحنق لأحمد وغاضبا يقول :

مراعاة لخاطر الأخ ناصر

كانـت إشـارة واحـدة مـن سـبابتى سـتفتك بـك فى الحـال وتنهـى عليـك دون أن يكـون لـك صاحـب ولا ديـة .

يخفف ناصر من التوتر الذى حدث موجها كلامه للمرسي:

و على إيه يا عم ، الطيب أحسن ، مبروك عليكم يا أخ مرسي .

- إسمى المرسي يا أخ ناصر
- و أنا إسمى عبد الناصر يا أخ مرسي .
- أضحك الله سنك يا أخى
- و أضحك الله سنك بضحكة حقيقية مش بلاستيك يا أخى.

يمتعض

المرسي و يحاول إخفاء سخطه

قائلا :

نلتم الآن شرفين يا أخ ناصر.

يحدقانه فى دهشه كبيرة

فيسترسل : نعم شرفين !

كنتـم مـن أبطـال اللجـان و الآن مـن رجـال الميـدان ، فقـد نلتـم شرفـين، شرف اللجـان وشرف الميـدان .

يداعبـه نـاصر : نعـم نعـم ..شرف النـصر وشرف الشـهادة و الإسـلام يجـب مـا قبلـه ، و النبـى بـلاش الـكلام بتاعكـم الجامـد علشـان بحـس إنـه بيرفـع الضغـط عنـدى.

يجيبه المرسي : كل من أتى للميدان فقد أيد الثورة و أنتم الآن فى الميدان ..

يتدخل أحمد غاضبا : يعنى الثورة اختصرت المصريين كلهم فى من حضر للميدان فقط ، يعنى عايز تقول انها اقتصرت عليكم من الآن ؟

_ انظر حولك وسوف تعرف الإجابة يا أخ أحمد ، بتوع الميدان هم أصحاب الثورة .

يعترضه ناصر قائلا :

انتم بتوع الميدان و نحن بتوع اللجان .

تصور تنفع مطلع لأغنية يا أحمد. مش يمكن يا أخ مرسى بتوع اللجان يكونوا بتوع الميدان ؟

كانت جملة ناصر الأخيرة مباغتة للمرسى الذى قال فى غيظ : كل شيء انتهى يا أخ ناصر ، ما تقوله هو المستحيل بعينه .

يشد ناصر على يد أحمد قائلا :

- هيا يا أحمد نكمل مسيرتنا فمن

يدرى ربنا كبير ،

ثم يقول للمرسي

نتركك للميدان يا جارى العزيز.

يضحك المرسي ضحكة عالية

يملؤها الزهو و شعور بالإنتصار .

يباغته ناصر وهو يهم بالمسير

فى اتجاه نفق الأزهر :

لا تضحك كثيرا يا أخ مرسي

المهم من يضحك أخيرا .

حُمّى

انقطعت أخباره ، لم يعد يظهر فى مناسبات الأفراح أو يشارك واجبات العزاء ولا يلبى دعوات الندوات و المؤتمرات .

دائما ما كان يبادر بالتواصل مع أصحابه و أقاربه و السؤال عنهم و ترتيب لقاءات و أمسيات تجمع بينهم ..و ها هو يغيب عنهم و يغيبون عنه ..

لا يؤمن بمبدأ الأخذ و العطاء ..

يقول : الذين تعودوا على العطاء يشعرون بالحزن عندما لا يستطيعون أن يقدموا المزيد .

أبعدته فترة الحمى عن الدنيا ، و لما غادرته تركت حمى أخرى بداخله .

ثمة ثورة قامت ، فوضى خلاقة ضربت الدروب الضيقة فى ميادين عقله ، إنه يعيد اكتشاف الناس و الأشياء من جديد ، العالم يمضى إلى الجنون و كل الموازين اختلت ..

الأنا سيطرت و حكمت علاقات البشر.

الدجالون أفسدوا كل شيء و تاجروا بكل شيء .

المنافقون تملقوا الحكام و علا صوت نفيرهم .

أكذوبة هى تلك الثورات التى شيطنت الحياة .

عالم يموج بعضه ببعض ..نظرية الدفع و الصراع مازالت تسود...

هكذا أصبح يري الدنيا الجديدة ..

أتى صوتها من بعيد رقيقا ..انساب فى أذنيه كخرير ماء ليذكره بصفاء النهر فى صفحة أيامه التى ولت ..

حتى النهر اعتدوا عليه و لم يسلم منهم !

قالها حزينا فى نفسه .

هى الوحيدة التى تستطيع أن تجعله يبتسم ..

«نشتاق إليك يا حبيبي ..وحشتنا». أين أنت ؟

روحه الغائبة ردت إليه عندما ضحكت ، صورتها و هى صغيرة عندما كان يلاعبها و يحضر لها الهدايا و الألعاب التى تحبها يراها على شاشة هاتفه و هى تحدثه ..

وعدها بالخروج القريب من عزلته !

عاد يجتر أحزانه و ذكرياته ..

رن هاتفه ..كان صديقه القديم ..

- أين أنت ؟

يسمعها مرة أخرى ..

- « دع الملك للمالك « قالها صاحبه !

- و هل ترك المالك ملكه ليعبث به البشر ؟

- أنت لن تغير الكون..

- سيظل الصراع قائما.

- لا فائدة منك سألقاك قريبا ..شئت أم أبيت !

ودعه على أمل لقاء قريب .

قرأ خبر وفاة زميله القديم بالجامعة و الذى كان عالما كبيرا فى الكيمياء ..

دمعت عيناه...خرج لتوديعه... كانت جنازته صغيرة و نعشه المرفوع فى الهواء يتعجل الذهاب إلى مثواه الأخير ..هربا من صخب الحياة التى ظلمته .

فى المساء .. يقلب فى قنوات التلفاز كأنه يقلب صفحات كتاب ، تطالعه صورة تكريم راقصة ، مباراة كرة ،أغنية بذيئة الكلمات ، سياسي يكذب ،رجل يتاجر بالدين يسمونه شيخا.. مذيعة تلتقى بطارد الجن

و العفاريـت.. و خائـن لوطنـه يطـل مـن شاشـة بـلاد بعيـدة ..

يغلـق التلفـاز ..يعـود إلى حجرتـه ..يمسـك بكتـاب الحضـارة .. يقـرأ التاريـخ قبـل الميـلاد و مـا بعـد الهجـرة ..

يتألم كثيرا !

يأتيـه صوتهـا ..يشـاهد وجههـا الضاحـك البـرئ .. تخـبره أنهـا فى الطريق إليه ..

رأى فى عينيهـا بريقـا وتحـدى .. حزنـت عندمـا رأتـه هزيـلا .. سـألته عـن الحمـى ؟

- أصبحت بخير بعد رؤيتك ..
- لكنك تبدو مصابا... درجة حرارتك مرتفعة .
- هذه الحمى لا تقلقني .

علت الدهشة وجهها الجميل .

أردفت : أى حمى هذه التى تقلقك ؟

امتزج الحزن بنبرات صوته الهادئ

قال :

إنها الحمى التى أصابت جسد الوطن .

مدن البعوض

بنى برجا عاليا ، اخترق عنان السماء ،ليصعد للإله الذي آمن به بعض من قومه ، نادى بأعلى صوته : أين أنت ؟

- إننى أنا الإله .. إله الأرض ..إن كنت هنا فى السماء أجبنى و تعال إلى و بارزني و من ينتصر يكون إلها للكون !

لم تأته إجابة و لم يسمع شيئا و لم ير أحدا.

هبط إلى الأرض .. قال : أنا ربكم الأعلى ، ليس لكم رب سواي ، خرج عليه فتى من قومه قال :إن ربي يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب !

بهت وفغر فاه ، جهز جيوشه القوية ليقض على الكافرين به ، قبيل المعركة .. أذهلتهم جيوش السماء ، بعوض يطارد جيوشه ، فروا منه ، لكنه لم يسلم منها ، غزت بعوضة رأسه ، استقرت بعقله ، كلما زنت ضربوه بالنعال ليستريح ...هلك .

جاء حفيده ليأخذ بثأره من الإله الذي أرسل البعوض و قتل جده ببعوضة .

أعد سفينة الفضاء التى تهبط على الكواكب البعيدة ، حمل معه صواريخه النووية ، هبط على سطح القمر ، بحث عن البعوض ، لم يجد شيئا ، ذهب إلى المريخ ، لم يجد شيئا ، ظل يصعد ويصعد ، وينادي ، أين انت ؟

لن تستطيع جيوشك أن تتحمل صاروخا واحدا مما معي ؟

أين جيوشك الضعيفة ؟

لم يأته جواب !

عاد إلى الأرض ..قال لقومه ..لا إله هناك !

أشاروا عليه : لنقض على أتباعه .. فإن بأرضهم كنوزا ونفطا !

- وما حجتنا فى القضاء عليهم ؟

- إنهم قوم يملكون أسلحة كيماوية استخلصوها من بعوض إلههم !

- لكنهم لا يملكون شيئا !

هناك أتباع لنا ، نمدهم ببعض ما لدينا من أسلحة كيميائية ، فإذا ما أطلقوها أبادت الأطفال وقتلت النبات والحيوان لديهم ...فتكون حجتنا حتى لا يؤازرهم العالم ضدنا .

رأي العالم الجريمة الإنسانية الكبري ، أدانوا ، استنكروا ، شجبوا ..

فى ليلة حالكة .. كانت صواريخ النمرود تضرب مدن البعوض .

إنشطار

هـو ذلـك الوجـه الـذي رأيتـه ، هبطـت بقريتـه الصغـيرة ،مشـيت فى طـرق ترابيـة ، طريـق يسـلم طريقـا ، الشـمس تداعـب وجهـه الأسـمر ،قيـظ الحـر يتعبنـى ولا يتعبـه ، وصلنـا إلى كوخـه الصغـير ،حوائطـه مـن الطـوب اللـبن ، أسـقفه خشـب وطـين ،أمـه الكفيفـة تتوسـط الـدار ، تفـترش حصـيرا ممزقـا ،ثلاثـة أطفـال يمرحـون ، وزوجـة تطهـو طعامـا فـوق نـار حطـب تتصاعـد منـه أبخـرة رماديـة .

قال : هذه أسرتى الصغيرة أخى.

صاحت الأم عندما سمعت صوتى مرحبا بهم .

- تعالى إلى حضنى يا بنى اشتقت كثيرا إليك .

ارتميـت عـلى صدرهـا ، قبلـت يديهـا ، تحسسـت وجهـي ، مسـحت عـلى رأسي ، انـشرح صدرهـا ، قالـت :

- غبت عنا كثيرا ، منذ أن وضعتك وأنت غائب عنا !

بدأت أشعر أنها تظن أنى ابنها .

نظرت فى مرآة صغيرة معلقة على الحائط ،

حدثت نفسى : كيف أكون ابنا لها وأخا رأيته فى حلمى؟

لماذا أنا هنا ؟

تذكرت ذلك الشخص الذي هو أنا .

و الذي تركته هناك فى المدينة الصاخبة ،

لقد انفصلنا عندما حدث الإنفجار الكبير ،

انشـطرت منـه ، و انشـطر منـي ، و ماتـت المدينـة و اختفـت مـن الوجـود .

سألت الرجل : كيف أتيت إلى هنا ؟

قال : لقد عدت إلى الأصل أخى .

تركته و خرجت أتجول بالطرقات و الشوارع الملتوية ،كل شيء طليق فيها ، الحيوانات ترتع و تمشي فى أمان ، تعيش مع الناس كأنهم أصدقاء، بغال و حمير و ضأن و بقر و جمال ،المراعي كثيرة ، و الوجوه السمراء تكدح تحت الشمس فى المزارع ،شعرت أنى غريب بينهم ،كل من يراني يحملق فى وجهي كأننى مهرج ملون هبط عليهم من السماء ، حاولت أن أستعيد ذاكرتى ، تداعى إلى عقلي معملي بمركز بحوث الحياة ، ترددت تلك الكلمات بعقلي...

الأميبا ، البكتيريا ، الخلية الأولي ، الخلايا المتعددة، الإستنساخ ، الذرة الأولي ، الإنشطار ،الإنسان ، العدم ، الإنفجار العظيم .

صرخت : أين انا ...من أنا ؟

أتانى صوت امراة صارخة الجمال : أنت فى وطنك الأول .

بهرنى جمالها ونسيت كل شيء ، ضحك أخى المزعوم ، أشار إليها ، قال : هى زوجتك !

تأكدت أن السر بيده ، كيف عرف أن هذه الأميرة الشقراء زوجتى وأنا لا أعرف ؟

قال : أخي .. أنت فقدت وعيك بعد الزواج ، أسكرك حسنها .

فقدت صوابي ، أمسكت رقبته ، كدت أخنقه .

- أنت تعرف كل شيء ..لست بأخيك ..قل لى من أنا ؟
- اتركنى .. سل أباك !
- ليس لي أب .
- إنه موجود .. سوف أناديه .

الأميرة الشقراء تضحك و الفتى الأسمر يستغيث بأبيه ، من بعيد أتى ، رجل طويل ، ملامح جامدة ، ذو هيبة و قوة ، عاري الصدر ، بشرته تميل للبياض ، اقترب منا .

- قل له يا أبي من أنت و من هو ؟

أصـدر ضحكـة قويـة ، هـزت جـدار الصمـت حولنـا ،عـلى إثرهـا تجمعـت الحيوانـات الشـاردة و البـشر ،دار الجميـع حـولي ، دهسـت ظـلي، يصرخـون فى صخـب ، كلـمات لم أفهمهـا يتغنـون بهـا و يصفقـون معهـا .

أبـصرت أمـى قادمـة ، كانـت مبـصرة ، أخـذت الشـقراء ، سـلمتها لأبي الواقـف أمامـى فى مركـز الدائـرة ،سـلمها بـدوره إلي .. خذهـا فإنهـا زوجـك!

ارتعـدت السـماء ، بـرق و رعـد يضربهـا بقـوة ،كل شيء حـولى اختفـي ، عـدا الأمـيرة الشـقراء بجانبـي ، سـقطت أوراق التـوت التـى كانـت تغطينـا، انتبهنـا لم يكـن فى القريـة سـوانا ...أنـا ..وهـى .

كوخ آدم

كل شيء كان يتحرك خارج نافذة حجرتى بالسفينة ،المشاهد تتوالى، الدقائق تمضى مع اتجاه سير السحب ، الأمواج ترتفع و تهبط و الشمس تتغير مساراتها والسماء تتغير ألوانها، بينما كنت فى حالة سكون !

اضطربت الحركة و حدث الهرج ، السفينة تتحطم ، و يتلاشى فى غيابات الضباب الزمان و المكان و تنعدم رؤية الاشياء.

وجدت نفسي وسط أشجار كثيفة فى جزيرة غريبة !

جرعة لبن فى قدر صغير من الفخار أنقذتني من الهلاك .

عندما تنبهت وعادت إلي الروح التى كادت أن تغادر جسدى الضعيف ،وجدته أمامى مبتسما ، بدا لي كأنه الإنسان الأول ، شعره الأشعث الطويل و لحيته الطويلة ، وشعر يغطى صدره وسترة جلدية تغطى نصفه الأسفل..

قال : لا تخف ..

سألت : من أنت ؟

أجاب : حي بن يقظان !

قلت : أنت أسطورة لا حقيقة .

- ها أنا حقيقة أمامك.. قالها ساخرا.

- لكنك تتحدث بلغتي و كأنك من عالمى الذى كنت أعيش فيه .

- بل قل عالمك الذى تريد الهروب منه !

- كيف عرفت ؟

- عن الغيب لا تسل ..

- لماذا تريد الهروب ؟

- لم أعد أستطيع العيش فى عالم مزيف !

- العالم يا بني عالم الأضداد ،كل شيء له ضد و كل بناء يقابله هدم و كل شر يقابله خير ..

- أين أنا الآن ؟

- فى جزيرة النجاة.

- و هل من أحد سواك هنا ؟

- الهاربون من عالمك و الحيوانات و أنا !

و أشار لأكواخ صغيرة متجاورة ..

نظرت فرأيت على البعد نساء و رجالا و أسودا و ذئابا و ثعالب و غزلانا و ماشية و جمالا .. يالها من غابة !

قرأ ما دار بعقلى و قال :

القانون هنا يقول العدل أساس الحياة.

من أجل ذلك تجد الذئب يتعايش مع الشاة و الراعي فى سلام .

- و من يحكم الجزيرة ؟

- كلنا نعيش معا و كل منا يعرف حقه و واجبه ..هيا لتعرف كوخك الذى سوف تعيش فيه.

غربت الشمس و دخل المساء و قبل هجوم الليل أضيئت السماء بأنوار بيضاء انبعثت من الشجر و من النخيل و أمام الأكواخ .

ضغط على زر بجهاز تحكم صغير أخرجه من جيب فى سترته الجلدية ،

فتح باب الكوخ ، استقبلتنا امرأة فاقت فى حسنها كل النساء اللواتي رأيتهن فى عالمى .

تسمرت قدماي و تسارعت نبضات قلبى .

- هذه عروسك الليلة ؟

قالها و تركنى معها ؟

نادتني باسمي : تعال يا آدم ، انظر إلي سوف تعرفنى !
لم أعرف امرأة بهذا الحسن من قبل .
- دع قلبك يراني.
شعرت بحركة فى القلب فهتفت :
تشبهين حبيبتى التى رأيتها يوما فى الحلم .
- الذى تتمناه فى عالمك و لم يتحقق تراه بين يديك فى عالم آخر .
أنا هي يا آدم .
كل شيء كان فى الكوخ جديدا .
الفراش ، الستائر ، و شاشة عرض لم أر مثلها من قبل .
الغريب أن كل شيء يبدأ عمله حسب الخاطر الذى يبدأ بعقلى وكأن خاطرى هو جهاز التحكم فى الأجهزة التى أمامى .
أدركت بعد قضاء ليلتى الأولى مع جنة أننى كنت فى جنة حقيقية و لكن لم أكن أعلم أهى على الأرض أم فى السماء ؟
وأن العالم الذى أعيش فيه عالم حقيقي وليس عالما افتراضيا و أنى لست أحلم ، ربما كان العالم الضد أو النسبي للزمان و المكان و للعالم الذى كنت أعيش فيه.
بزغ نور الصباح من جوف ليل ساحر حيث لا يوجد ظلام سوى فى قبور الجزيرة !
ترامى إلى سمعي صوت زفة قادمة و غناء و قرع طبول و دفوف، و عطر عود و بخور يفوح و قد اختلط برائحة عطر جنة الذى لم أشم مثله من قبل .
كان حي فى صورة أخرى غير التى رأيته عليها بالأمس ، وجه جميل يشع منه نور و شعر قصير ولحية بيضاء مهذبة ، بدا فى ثوبه الأبيض كأنه محرم لا يظهر من جسده سوى كتفه الأيمن ، و كذلك كان من معه من الرجال ، أما النساء كن كالملائكة والحمامات البيضاء.

دخـل كوخـي و بعـض ممـن كانـوا معـه ، باركـوا لنـا بالدعـاء ، شـدت و غنـت حمامـة بيضـاء و أنشـد حـي معهـا ، و كانـت جنـة تضحـك فيبـدو لؤلؤهـا و يشـع النـور مـن عينيهـا وابتسـامات خجـلى تجيـب بهـا كلـما سـأل أحدهـم عـن أخبـار ليلـة العـرس !

- أتريد أن ترى عالمك الذى جئت منه يا آدم ؟

قال حي و أبديت رغبتي فى الرؤيا ..

أشـار للشاشـة الكبـيرة المعلقـة عـلى الحائـط ، أخـذ يتنقـل بـين المحطات و يعلـق عـلى كل حـدث يظهـر عليهـا .

هـذه حـروب الـشرق مـع الغـرب و هـذه صراعـات الشـمال و الجنوب، فى القـارة السـمراء تـرى كل أنـواع الجنـون وفى القـارة البيضـاء تجـد كل أنـوع المجـون !

بقيـت المحطـة الأخـيرة و أخـشى أن تراهـا الآن فـلا تتحمـل مـا سـوف تشـاهده .

أبديت دهشتي ، هز رأسه و استرسل :

يا بنى لقد بدأت علامات الوعيد واقترب اليوم الموعود !

قبل أن يغادر سألته :

هل أنت ابن الأرض أم ابن الإنسان ؟

- لا تشـغل بالـك وعـش حياتـك مـع جنـة و اسـتعد لتبـدأ فى العمـل مـع أهـل الجزيـرة .

- و هل سأعود إلى عالمى ؟

ضحك ضحكة صافية وقال :

تحتاج لمائة سنة ضوئية

لتعود إلى عالمك !!

نوع آخر من الموت

ظننت أننى عندما أنام لن أستيقظ مرة أخرى، لسوف تكون النومة الأخيرة، و أنا لا أستطيع أن أفرق بين النوم و الموت، هى نومة و السلام .. الفرق الوحيد الذى يجعلني أشعر أنى مازلت على قيد الحياة عندما أفتح عيني و أرى و أسمع و أتنفس وأتكلم و أتناول الطعام و أضحك و أذهب إلى عملي.

كانت هذه المرة التى نمت فيها غريبة، كنت أريد أن أجرب الموت، حيث تلقيت إنذاراً منه على يد طبيب ،تقريرا كتب فيه : مرض مزمن .

كيف نمت وكيف استغرقت وقتاً طويلاً فى النوم و ماذا حدث طوال تلك الفترة التى تجاوزت الثمانى ساعات لا أدرى !

وجدتها جالسة على فراشي، تلقفتنى عيناها، احتوتنى، قالت :

صباح الخير .

و كأنى أسمعها بشكل جديد يختلف عن كل صباحات العمر الذى كان بيننا.

ذهبنا إلى المستشفى، قرأ الطبيب التقارير و فحص الأشعة، وضعونى فى حجرة صغيرة، أرقد فوق سرير معدني أبيض و حوائط خضراء و محاليل معلقة بوصلات فى يدى .

دخلت حجرة العمليات، عرفت أن هناك نوعا آخر غير النوم وغير الموت !

المخدر، .ذلك الشيء الذى يجعل جسدك يتلقى كل الآلام دون أن تشعر، فمشرط الجراح يمزق جلدك و دمك ينزف وكل العذابات نراها وتحدث أمامنا، ترى هل عذابات الآخرة و نعيمها سيكون لحظة تحت تأثير "بنج ما " ؟

مـر كل شيء سريعـاً، و كانـت الإفاقـة التـى جعلتنـى أعـرف أن الحيـاة مهـما كانـت قاسـية إلا أنهـا أفضـل مـن المـوت.

نظرت إليها، كانت فى عينيها دمعة و على ثغرها ابتسامة ، سألتها : لماذا ؟ قالت : لا أستطيع أن أتخيل الحياة بدونك، و نزلت دمعتها ..

تناولـت كفهـا الصغـير، قبلتـه، مسـحت دمعتهـا، داعبتهـا، ضحكنـا معـاً، غـادرت ..

وجـدت فى نفـسى رغبـةً عجيبـة لذلـك البنـج و رغبـة أخـرى غريبـة لتجربـة جديـدة و مخـدر آخـر ربمـا لم يتـم اختراعـه بعـد.

فى حضرة المحبوب

عـز اللقـاء، تعـثرت الخُطـى، و تـاه الطريـق ،و مـضى كل منـا فى طريـق. قالـت لنـا قارئـة الفنجـان :لا تلاقـي، و خـط القلـب سـيبقى موصـولاً ! فى حـضرة الليل قبيـل النـوم تبـدأ الحـضرة، ابتهـالات و أناشـيد ووأغـانى، نتبـادل الأحـلام البعيـدة و الأمنيـات الضائعـة فى سـاحة الوهـم .

يطير النوم و يحضر الأرق .

فى حضرة الصمت، شهودنا قمر و أنجم كثيرة.

أنـت الكلمـة التـى لم يقلهـا أحـد، و الجملـة التـى لم يكتبهـا أحـد والابتسـامة التـى لم يعرفهـا أحـد.

أقـرأ تلـك الكلـمات فى كراسـة قديمـة، و أشـم عبـير وريقـات وردة حمـراء ذابلـة بـين الصفحـات، أتنفـس الصعـداء فـأرى عينيهـا تقـرأ مـا بـين السـطور .

أُحملـق فى سـقف حجرتى، أنظـر إلى الجـدار الأبيـض، أرانى هنـاك، يالهـا مـن وحـدة مريـرة و عزلـة صوفيـة تختلـط فيهـا وسوسـة عزازيـل و مزامـير داود و تسـبيحات يونـس و فلسـفة ديـكارت و شـطحات نيتشـه.

مـاذا لـو أصبحـت بعـد المـوت فى حجـرتى هـذه وحيـداً بعيـداً عـن البـشر و حـور العـين ؟

يأتينى صوتها من خلف جدار العقل حزيناً متسائلاً : حتى أنا ؟

أهتف بأعلى صوتى : إلا أنتِ !

تفيـق مـن ثباتهـا، تسـتعيد حلـم اليقظـة، ترتسـم عـلى شـفتيها ضحكاتهـا القديمـة، تقـرأ كلـمات فى كتـاب القـدر تقـول : فى نفـس اللحظـة التـى تفكريـن فيـه، هـو يفكـر فيـك، تتذكـر قارئـة الفنجـان !

نسـافر فى تلـك اللحظـة عـبر الزمـن، أُطـل مـن خلـف نافـذة القطـار ،

أراهـا خلـف نافـذة القطـار الآخـر، ثمـة نظـرة و عـبرة و إشـارة وداع و وردة حمـراء قذفتهـا فتناثـرت أوراقهـا بـين القضبـان .

يدوى نفير الزمن، يأتينا من أعماق الوجد السـحيقة صوت ضاحك يقول : القطار يقترب من محطة الوصول .

ذاكرة الورد

بعد فراق ، التقت العيون و ذهبت دهشة التساؤلات ، كانت هناك نبضات و خفقات سريعة داخل قلبيهما ، كلاهما يتحسس قلبه و يقترب من الآخر ، تصافحا ، أخذ الزمن منهما ما أخذ ،لكن الصورة توقفت عند آخر لقاء، فى عبائتها السوداء الأنيقة كانت تطل من عينيها مسحة حزن انعكس على وجهها الأبيض الذى تورد بحمرة وردية عندما اخترقتها نظراته و وضعت علامات الإستفهام على خصلة شقية انسدلت على جبهتها من تحت حجاب أسود .

قرأت كلماته وأزاحت الغطاء عن السنين ومسحت غبار الزمن الذى ولى .

قالت : انكسرت ..تحت كل رداء أسود حكاية حزينة !

- مازالت ابتسامتك جميلة رغم الحزن الذى تحاولين إخفاءه .

- لن نسطيع استعادة الزمن .

- أصعب وأجمل الأشياء أن نعرف كيف نحول الإنكسار انتصارا فمازال فى العمر بقية..

- كل من يعرفك يقول أنك تعيش فى سعادة ، أما أنا فأشعر بحزنك النبيل الذى تخفيه وراء ضحكاتك !

- كل شيء عنك أخبرتنى به الأحلام !

- غريبة هى الأرواح تظل فى لقاء و إن افترقت الأجساد ، فروحك لم تفارقنى !

- الذين رحلوا عنا مازالوا يعيشون معنا ، و يشعرون بنا و قد يخبروننا بأحداث مستقبلية من خلال إشارات لا نعرف معناها إلا عند حدوثها !

نظـرت فى توتـر إلى سـاعتها ، كانـت الشـمس تلملـم بقايـا وجودهـا فى السـماء ، و هـواء الخريـف البـارد يداعـب أوراق الشـجر التـى تتسـاقط عـلى اسـتحياء..

صمـت الكـون و تعلقـت النظـرات بالبسـتاني الـذى كان يـروى حديقـة الزهـور .

ثمة وردة كانت بها ورقة أخيرة

أشارت إليها وقالت :

لقد أوشكت على السقوط ؟

قال : كل الأشياء تتغير و تتحول و تجدد نفسها ؟

لاح فى الأفق وسط السحابات الداكنة وجه القمر الدامي !

تناولـت حقيبتهـا السـوداء ، تركـت كفهـا الصغـير فى يديـه ، امتزجـت نبضـات الرسـغ بدقـات عقـارب السـاعة التـى لا تتوقـف .

اختلـط الشـجن بصوتهـا المخنـوق كوجـه القمـر همسـت : مـاذا لـو غـادر البسـتاني حديقتهـا؟

صوت الخلود

إنها الجنة.. دخلتها وحيدة.. بينما كل العاشقين فيها. كل شيء حولها ينطق بالجمال. والجمال أقل وصف لما تراه عيناها.

الزهور بأنواعها و ألوانها يفوح منها العبير، الشجر يرقص، و البساتين الخضراء ترونقت و تأنقت، الطيور و الحمائم البيضاء تحلق في السماء.

أما البشر فكانوا غير الذين تعرفهم.. رجال و نساء و عطور و ياقات بيضاء و فساتين سهرة سوداء و حلي كثيرة!

تطالعها وجوه ضاحكة مستبشرة. ابتسامات من القلب يوزعونها على بعضهم البعض، قبلات حب يتبادلونها.

المسرح مفتوح على الشاطئ، هدير الموج، زرقة السماء، ألوان الطيف تفاعلت مع البحر الهادئ.. ثمة فرحة كبيرة في قلوب اشتاقت للحظة حب.

غابت الشمس، بدأت مصابيح بيضاء تغمر المكان. خيمة بيضاء تتلألأ أنوارها في السماء.

على المسرح المفروش باللون الأحمر القاني أخذ العازفون أماكنهم، العازفات فراشات بيضاء ملائكية، الراقصات حوريات من جنة عدن.

حانت اللحظة التي انتظروها، صعد الموسيقار الوسيم في حلته السوداء وقميصه الأبيض وعصا ذهبية رفيعة بيده.

صفقوا، هتفوا، داعبهم بكلماته وضحكاته.

يتواصل هتاف العاشقين.. كم أنت عظيم أيها الموسيقار.

تطلعت عيون الجالسين على مقاعدهم المتحركة إليه، ذهب إليهم قبل يد كبيرهم، ألقى بقبلة وضعها في يده إليهم مع باقة ياسمين بيضاء.

صعـد إلى المـسرح.. رنـت العيـون إلى الملائكـة البيضـاء و الفراشـات الراقصـة.

أشـار بعصـاه.. انسـابت الموسـيقى و جـرت كمـوج البحـر الـذي احتضـن الشـاطئ في هـدوء.

كل اللحظات السعيدة قصيرة.. قالتها في شجن!

انتهـت الحفلـة، مـر وقتهـا سريعـا كلمـح مـن بـصر، عـادت إلى منزلهـا.. اسـتقبلتها حجرتهـا.. مـازال عطرهـا يفـوح منهـا.. نظـرت لمرآتهـا.. أضـاءت وجههـا ابتسـامة.. ألقـت بنفسـها عـلى فراشـها الـذى كان يؤرقهـا.. للمـرة الأولى شـعرت براحـة معـه، فـوق وسـادتها الورديـة راحـت في نـوم عميـق.

مازالـت الموسـيقى تصـدح في مسـامعها و الحوريـات و الفراشـات يرقصـن و العازفـات الجميـلات يعزفـن عـلى كمنجاتهـن الصغـيرة.

في حلمها أتى من بعيد..

قـال: لا تحـزني .. لسـت وحـدك.. أنـا معك..يجـب أن تكـوني سـعيدة! اسمعي للصوت الآتي من قلبك.. ستجدينى في نبضك.

استيقظت.. رأت طيفه.. كان حبيبها الذي عرفته لكنها لم تره؟

شعرت بدقات سريعة في قلبها.. سمعت صوته.. وجدته!

أمسكت بورقة بيضاء، كتبت عنوان روايتها الجديدة(صوت الخلود).

هيام

يتملكه الشوق عند إطلالتها ،لم يكن يبوح به لها .
بداخلها شوق للدخول إلى عالمه ، تنتظر مبادرته .
باغتها :
- هل بدأت قصتنا ؟ دون أن تفكر :
- نعم بدأت .. لنكتبها معا .
- ماذا ستكتبين ؟
- قصة قصيرة.
- وضع القدر عقدة النص بأوله .
- لا أحب العقد ، لا بالمقدمة و لا بالوسط أو النهاية .
- سوف تكون رواية طويلة .
- أكره السرد و الإسهاب و الحكايات و أخشي من النهايات الحزينة .
- لندع الأيام تكتب فصولها .
- لا أظن أن القدر سوف يجمعنا.
- ربما يكون الغيب حلوا.
- أخاف من غد مجهول لا يأتى.
- بيننا مسافات طويلة.
- بيننا حواجز عالية.

توقف الكلام و تكلم الصمت ، الليل يرخى سدوله ،فى السماء نجم وحيد يمشي وراء القمر ، هدير الموج الصاخب يعلو ،يلوح فى الأفق شعاع النهار .

على الشاطئ يداعب الهواء خصلات شعرها.

تنظر إلى مصدات الموج الرمادية داخل البحر ، فى الجهة الأخري البعيدة، يجلس فوق الرمال ، يبنى قصرا ويكتب حروف اسمها .

ديبورا

عزمني صديقي أليكس على وجبة عشاء فرنسية ببيته ، ذهبت معه بعد جولة فى شوارع باريس ، وصلنا إلى العمارة المقيم بها ، ضغط على جرس شقته ، صوت موسيقي قصة حب كانت رنة للجرس ، فتحت الباب ، بشوق بثها لهفته ، وبحب عانقته ،تطلعت إلي ، هتفت مرحبة ، تمنيت لو قبلتنى كما قبلت أليكس .

جلسنا نتبادل أطراف الحديث حتى تنتهى ديبورا من إعداد الطعام ، كنت أتأمل ألوان الحوائط الهادئة ، و الورود الموزعة بأركان الشقة الصغيرة ، الطعام كان طبق كريب و جبن فرنسى و زيتون و ليس مشويات أو أسماك كما توقعت من كلمة عزومة التى قالها لى !

انبعثت الموسيقي الخفيفة أثناء تناول العشاء وهى تجلس معنا .

- تسلم إيدك ديبورا الجميلة ...قلت هذه الجملة بالإنجليزية

فلم تفهم ما أقول .

- ماذا تعنى ؟

- كم أنت كريمة يا ديبورا...شكرا لك على طعامك الشهى.

ضحكنا ..ثم شرحت لهم معنى ما قلت بصعوبة..

هكذا نجامل صاحبة البيت عندنا عندما نعجب بالطعام الذي أعدته .

انتهت أيام العمل بباريس وعدت للقاهرة إلى مقر عملي .

مضى عام و نحن نتبادل الرسائل أنا وألكس ، تلقيت منه رسالة أنه قادم إلينا منتدبا لمدة شهور للمساعدة فى مشروع هام ،لا حديث للزملاء عنه إلا أنه يعيش مع صديقته !

سألته : هل أخبرت أحدا منهم بذلك ؟

قال : أنا لا أعرف أحدا حتى أخبره.

- كيف يفكر هؤلاء البشر؟

- لا تتحدث مع أحد بهذا الشأن.

- هذا أمر يعنيني و لا يعنى أحدا.

- هم ينظرون للأمر غير ذلك.

- إذا كان فى شرعكم الزواج إشهار ..إذا فديبورا زوجتى..فى شرعكم.. ماذا ينقصنا غير ورقة نوقع عليها ونسجلها بالمحكمة .

- أعرف ذلك يا ألكس فديبورا هى كل شيء فى حياتك .

- لا عليك .. قرأت كل شيء عنكم ولا يعنيني ما يهمسون به .

- إنهم يغيرون منك لأن ديبورا سحرتهم بجمالها ، ما كان لك أن تأت بها فى أجازة آخر الأسبوع !

تهامسوا وتكلموا ومصوا الشفاه وزايد المتشددون ،وفى النهاية لم يستطع أحد منهم التعرض له ولو بكلمة .

وجهت لهما دعوة على الغداء بعد أن تعودت معدتهما قليلا على طعامنا .

سرعان ما حدثت الألفة بين زوجتى و أطفالى وديبورا الساحرة الفرنسية الجميلة ،أما ألكس فكان ينتظر الطعام بشدة !

أعدت زوجتى ما لذ و طاب من مشويات و محاش و حمام محشي و سلطات و مخللات ، اعترضت ديبورا على كثرة الطعام ، لكنهما عندما استقبلا منضدة السفرة أكلا بنهم شديد !

انتهت فترة انتدابه ، عادا إلى باريس ، تلقيت منه رسالة تقول : لقد وقعنا عقد زواجنا و سجلناه بالمحكمة.

ديبورا حامل بولد ، سوف يكون اسمه : Amr

انتهيت من قراءة رسالته ، تذكرت أن اسمى عمرو و هو ما كان يعنيه ألكس .

كبرياء

رأيتها فأكبرتها ، تلك الأنثى صاحبة الزي الأزرق ، قلت فى نفسى : مثلك يا سيدتى يستحق التكريم ..

اقتربت من المقعد الذى كنت أجلس عليه ، نهضت و تحركت قليلا لأفسح لها المكان، أخفيت عنها نظرة تقدير واحترام ،أنجزت مهمتها ،ثم قالت : كل شيء الآن نظيف..

تستطيع أن تعود يا سيدى لمقعدك !

قطعة جبن قديمة

ظـن أن الوحـى غـاب عنـه ، مـا عـادت تطاوعـه الكلـمات ، لم يكـن نبيـا و ليـس بـولي مـن أوليـاء اللـه ...لكنـه كاتـب !

يخـرج للشـوارع ، يتأمـل الوجـوه علـه يجـد وجهـا غريبـا يـري فيـه قصـة يكتبهـا ، بـين ضجيـج السـيارات و زحـام البـشر تتـوه أفـكاره ، كل يـوم يهيـم عـلى وجهـه ، لم يعـد هنـاك ابتسـامة عـلى جبـين البـشر .

العابـرون واجمـون ، الباعـة الجائلـون يصيحـون عـلى بضاعتهـم ، هـذا بائـع لليمـون و هـذا بائـع للتفـاح ، و هـذا شـاب وضـع عربـة صغـيرة بهـا قـدر فـول يلتـف حولـه الباحثـون عـن وجبـة إفطـار رخيصـة وسريعـة ، و هـذه العجـوز تجلـس عـلى الرصيـف تبيـع الخـس و الجـزر و البصـل الأخـضر ، و بائعـة الجـبن القريـش التـى تبـدو فى زيهـا القـروي .. عـرف منهـا ذات يـوم أنهـا تـأتى مـن قريتهـا كل يـوم و تتحمـل عنـاء سـفر طويـل .

سألها لماذا ؟ ابتسمت و قالت : أكل عيش .

و سـيدة أخـرى فى منتصـف العمـر تبيـع الخبـز عـلى طاولـة خشـبية تجلـس بجانبهـا فتـاة صغـيرة تذاكـر دروسـها عـلى الرصيـف .

بينما السيارات الفارهة تعبر مسرعة لا تأبه لأحد و لا تبالى بشيء .

- تري هل وزعت الأرزاق بالعدل بين الناس ؟

يمـضي فى طريقـة ، الضجيـج بداخلـه لا يهـدأ ، وجـه العجـوز تشـبث بعقلـه ، تجاعيـد الزمـن حفـرت فى وجنتيهـا خطوطـا بنيـة ..لكنهـا تبتسـم !

الفتـاة الصغـيرة اسـتولت عـلى مشـاعره فوجـد دمعـة سـاخنة تنهمـر وهـو يتذكـر وجههـا البـرئ .

ابتسامتان ووجه برئ عادوا معه إلي بيته .

شـعر أن هنـاك شيء مـا لا يفهمـه ، و أن النفـس البشريـة بداخلهـا أسرار لا نعرفهـا ، مـا سر ابتسـامة هـؤلاء البـشر ؟

ليـس القلـق و الخـوف مـن المجهـول و الحيـاة و المـوت و السياسـة و الإقتصـاد و لا الحـروب و سـعر الـدولار يهـم العجـوز و بائعـة الجـبن و لا بائـع الليمـون و بائعـة الخبـز .

عاد مهموما ، أغلق حجرته ، استقبل مكتبه .

- تساءل : تري هل تصبح بنت بائعة الخبز طبيبة ؟

قفز إلى خياله مشهد عربة الفول و عربة بائع الليمون .

- تساءل مرة أخري ..تري ..؟

لم يكمـل السـؤال ، اسـتدعي مشـهد «قطعـة الجـبن القديمـة و السـيارة الفارهـة» .

عادت إليه الحيرة والقلق و الخوف من الغد المجهول .

تذكر ابتسامة العجوز و بائعة الجبن .

حاول أن يبتسم و لكن ..!!

البهتان

قادني حظى العثر لأشاهد جريمتهم البشعة ، رأيتهم يضعون جثته على مائدة طعامهم، قطعوها، سلخوها ، أخرجوا كبده و أمعائه ، إنهم يجيدون الشواء ، تلذذوا بمضغ لحمه ، سكروا عندما شربوا من دمه..

قدم لى أحدهم قطعة من قلبه.. صحت فيه :

هذا القلب كم أحبكم وتأكلون لحمه.

سخر آخر وكان يمسك بعقله :

خذ هذا لتنال بعضا من ذكائه .

أشحت بوجهى عنه وقلت غاضبا :

من أجل هذا تغارون منه .

جاءني الأخير مستهزئا

وقدم لى قطعة من لسانه !

استفزنى بوقاحته وتذكرت كلماته الطيبة عنهم فآثرت صمتى ، استمر غيظه لى فأمسك برأسه هازئا : تعجبك هذه ؟

قلت : يكفى أنها لم تنحن لأحد مثلكم .

غادرت مكان الجريمة غاضبا وتركتهم يواصلون رقصهم حول جثته ويغنون أشعاره و قصائده !

لم أندهش عندما تعقبوني و دخلوا المسجد ورائي ..

كانت دهشتي الكبيرة عندما رأيناه أمامنا فى جلبابه الأبيض بشوشا ضاحكا ووجدت كلا منهم يصافحه بحرارة و يحتضنه فى شوق !

قارئة و فنجان

يجلس الطفل الصغير متطلعا لعينيها الخضراوين و ضحكتها الصافية ، يجذبه إليها صوتها العذب الرقيق الممتزج بحنان يتدفق كجدول صاف فى بستان ورد.

- شوفى لى الفنجان يا جدتي !

كان يقلد أباه و يشرب القهوة ، يترك بعضا منها فى الفنجان ، يرجه قليلا ، يوشوشه بكلمات فيها أمنيات ، ثم يضعه مقلوبا على طبق القهوة الصينى الصغير الذى نقشت عليه بعض الورود الحمراء .

تضحك جدته ضحكتها العذبة

تقول : من شابه أباه ما ظلم !

تلتقط الفنجان ، تتأمل النقوش و الرسومات.كانت تقرأ أحلامه الصغيرة قائلة له:

- أراك تقود سيارة ، و هذه الفتاة الجميلة ستكون عروسك ، و هذه الحقول سوف تكون مزرعتك و هذه الطائرة سوف تسافر عليها !

فى الليلة الأخيرة من اليأس الذى داهمه بعد فشله فى الحصول على عمل بعد تخرجه من الجامعة ، كان هناك فوق الجبل المخيف، أغمض عينيه ، ألقى بنفسه !

رآها فى لحظة سقوطه و كأنها هبطت من السماء ، مدت يديها إليه ، أنقذته قبل السقوط !

قالت : مش مصدقنى ؟

بكره تشوف هايتحقق لك الوعد !

فى الصباح ذهب لعمل مقابلة فى شركة كبيرة ، كان بداخله شعور مختلف عن كل المرات السابقة التى كان يذهب فيها لعمل مقابلة ،

جدتـه كانـت فى خاطـره و كأنهـا تحـضر معـه دون أن يراهـا أحـد .

لم يصدق نفسه عندما قالوا له : أحضر أوراقك و استعد للسفر!

مصدقك يا جدتي ..قالها فى فرحة غامرة .

فى حديقتـه .. أمسـك حفيـده فنجـان القهـوة المقلـوب وجلـس أمـام جدتـه متطلعـا لعينيهـا الخضراويـن قائـلا : جـدتى شـوفى لى الفنجـان !

القَدَر الثالث

لم يغـير الزمـن ملامحهـا، ابتسـامة جميلـة ووجـه طفـولي بـرئ، و كأن الزمـان قـد توقـف عنـد النظـرة الأولى و الهمسـة الأولى، و قارئـة فنجـان أخبرتـه و أخبرتهـا بالفـراق .

فظـل يراهـا فى أحـلام نومـه و يقظتـه ،هامـت الأرواح و تلاقـت ،ارتفـع مـوج العشـق بينهـما و ارتقـى ، فركبـا سـفينة النجـاة ،و عقـد نـوح قرانهما!

فكان حوار :

- أين أنت الآن و أين أنا ؟
- لا يهم أين كنا ، المهم أننا التقينا
- تزوجينى
- قبل الخلق تزوجنا
- افترقنا فى الحياة
- بين قدرين كنا ..
- و ها نحن بين يدي القدر الثالث !

كل الأحلام كانت صامتة مثلما كان الحب لا يعرف الكلام ! !

بحث فى كتب الأحلام عن تفسير .

لم يعثر على إجابة تريحه ،

هرب من يقظته ، عاد إلى الحلم ،

لم يرها ، و لم تعد تأتي إليه .

كان يرى قارئة الفنجان ..

خشوع هانصور

«قصة قصيرة»

و لما كانت الليلة الألف و الأخيرة من ظهور الداعية فى برنامج التقوى على شاشة الإيمان الفضائية بدأ الشيخ صاحب لقب الدكتور حلقة البرنامج كعادته بالدعاء رافعا يديه للسماء و بين التوسل و الرجاء و الدموع دعا ،كان عنوان الحلقة : الفقراء يدخلون الجنة !

بدأ سرد حكايات الفقراء ، ربط الفقر بالرضا و السعادة فى الدنيا ودخول الفردوس الأعلى فى الآخرة ، و أخذ يعدد فى أحاديث الأنبياء عن الفقراء و ضرب أمثلة من حياتهم التى كانت فقيرة و عاشوا فى فقر و زهد كبيرين ..

قال : طوبى للفقراء فهم عيال الله و أحبابه و ويل للأغنياء أعداء البشرية الذين يسرقون قوت الغلابة !

فتح ميكرفون المداخلات ..

سألته مشاهدة : الأنبياء لم يكونوا فقراء

كان منهم داود و سليمان و الذين رعوا الغنم كانوا أغنياء بما يملكون من أغنامهم و تجارتهم فيها فهل نحسبهم من الفقراء أم من الأغنياء ؟

كعادته يستدعى بشاشته و طلاقة وجهه التى تصاحب طلاقة لسانه و نظرات عينيه المراوغة

قال : الأنبياء يا سيدتى ليسوا مثلنا و هم الإستثناء من القاعدة.

فى مداخلة أخرى سأله المشاهد الحصيف :

يا مولانا كيف استطعت أن تبكى أثناء الدعاء و أنت فى أول الحلقة و لم تسخن بعد ؟

ضحـك الداعيـة و اسـتدعى خاصيـة الثبـات الإنفعـالى و الإبتسـامة البـاردة وأخفـى توتـره بحركـة سريعـة داعـب فيهـا أزرار بدلتـه الإيطاليـة السـوداء !

قال : إنها فتوحات و تجليات من الله ..

قـال المشـاهد : ربنـا يثبتـك يـا شـيخ و تشـارك فى الغـزوات آخـر الحلقـة كـما شـاركت فى الفتوحـات بأولهـا !

واصل ضحكته البلهاء و أغلق هاتف المداخلات .

فى آخر دعاء الختام قال : اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا !

واصـل النحنحـة ، تقمـص دور الزاهـد ، انهمـر فى البـكاء ، لكـن كانـت نظراتـه للكامـيرا أثنـاء بكائـه تقـول شـيئا آخـر حتـى نـزل عـلى الشاشـة تـتر النهايـة !

نـسي المخـرج الكامـيرا والصـوت مفتوحـين ،سـأل طاقـم الإخـراج : مـا رأيكـم ؟

قال المخرج مداعبا : هايل يا دكتور ..أتقنت دورك تماما !

كان سـائق سـيارته الفارهـة بانتظـاره فتـح لـه البـاب ، دلـف إلى الكـرسي الخلفـى ،أغلـق السـائق زجـاج السـيارة الأسـود ، بـدأ هـواء التكييـف يرسـل بـرودة منعشـة ،تنـاول الدكتـور و هـذا اللقـب كـم يحبـه وظـل عمـره يبحـث عنـه ..

فقـد كانـت الدكتـوراه التـى اشـتراها فى التجـارة التـى درسـها فى مسـتهل شـبابه بالجامعـة و ظـل حـرف الـدال ولقـب دكتـور يـراوده فدائمـا مـا كان يقـول « إن لحـرف الـدال لسـحر عظيـم يفتـح الأبـواب المغلقـة» ..

تنـاول سـيجارا يسـتورده مـن الخـارج ، وأخـذ يدخـن فى هـدوء ، بينـما حلقـات الدخـان المشـبعة برائحـة التبـغ الفاخـر تتطايـر فى سـقف السـيارة!

فيسأله السائق : هل صحيح يا أستاذ الجنة للفقراء أمثالي؟

يجيبـه : طبعـا .. سـوف تدخـل الجنـة مـن أوسـع أبوابهـا واحـرص أن

تقـول لى يـا دكتـور !

واسترسـل منبهـا السـائق بقولـه : لا تنـس الليلـة أن تتجـه إلى الفيـلا الجديـدة حيـث العروسـة الجديـدة فى انتظـارى!

باغتـه السـائق و سـأله : و أنـت يـا دكتـور هـل سـتكون معنـا فى جنـة الفقـراء أم جنـة الأغنيـاء ؟

قـال مداعبـا : لا تخـف سـوف آخـذك معـى و ندخـن معـا سـيجارا كوبيـا هنـاك !

ضحك السائق و هو يشعل السيجار الذى أعطاه له الشيخ قائلا :

اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا !

صديقتى ملحدة

كانت فى زيارة لنا ، فهى و زوجها من أصدقاء العائلة ، وتربطني بها صداقة أدبية ، حيث نلتقى بالندوات الثقافية ، فهى كاتبة تملك حسا أدبيا راقيا ينعكس من روحها الطيبة و جمالها الهادئ ، و زوجتى تعتبرها توأم الروح التى لا تستطيع أن تفارقها .

هند فى مشكلة كبيرة يا هشام و تريد أن تتحدث معك !

باغتتنى لمياء بقولها و أكدت هند على كلامها من خلال نظرة قلقة رأيتها فى عينيها و سرعان ما غادرت لمياء زوجتى الجلسة قائلة :

أما أنا سوف أذهب إلى المطبخ أجهز الغذاء و أترككما لتفضفض هند لك بما تريد .

تحدثى يا هند ..خيرا بإذن الله .

ذهب عنها التوتر قليلا و بحس الأديبة بدأت بعقدة القصة و ألقتها دون تمهيد : أفكر فى الطلاق من زياد !

صمت قليل بدا ، استعادت خلاله وجه زياد البشوش و روحه المرحة ، فهو كما أعرفه ديبلوماسي ناجح ، دمث الخلق ، محبا للحياة ، مثقف ، ملتزم فى عقيدته ، ربما لم يكن يصلى بشكل دائم ، لكنه فى شهر رمضان يصلى كل الأوقات و غالبا ما كنت ألتقى به فى صلاة العشاء و القيام و الفجر ..

قطعت هند الصمت و أكملت : أنت تعرف أننا لا نمر بمشاكل مادية و نعيش فى وفاق و حب ولكن المشكلة و التى ربما تعرفها ما حدث مؤخرا من تطورات فى حياة زياد ..

هززت رأسي موافقا ، فقد كنت أعرف من خلال ما يكتبه زياد على مواقع التواصل ثم ظهوره المفاجئ فى أحد البرامج ..

استرسلت هند و كأنها قرأت ما فكرت فيه :

و منـذ تلـك اللحظـة التـى ظهـر فيهـا عـلى القنـاة الفضائيـة و أعلـن إلحـاده و انقلبـت حياتنـا و توتـرت العلاقـة بيننـا و تسـاءلت : هـل الإلحـاد نقمـة ؟

جاء دورى للحديث قلت :

الإلحـاد يـا هنـد قضيـة إنسـانية تـوازى قضيـة الإيمـان فهـى مسـألة معقـدة لأنهـا تأخـذ مـن صاحبهـا كل فكـره و تضغـط عليـه خاصـة لـو كان مـن يلجـأ إليهـا مثـل زيـاد فقـد مـر زيـاد قبلهـا بمرحلـة الإيمـان .

قطعـت حديثـى و أردفـت : اتفـق معـك ووخاصـة بعـد أن قـرأ فى فلسـفات كثـيرة ..لقـد تأثـر كثـيرا بشـوبنهور و فلسـفته المتشـائمة و تأثـر بسـارتر و نيتشـه وغيرهـم

القضية صعبة لا أعرف ماذا أفعل ؟

كان تسـاؤلها يلمـح لى بالعـودة إلى الديـن و رأى الـشرع الـذى يمنـع العلاقـة بـين الملحـد و زوجتـه إذا ظلـت عـلى إيمانهـا ، لكنهـا استرسـلت : لكـن الـشرع يعطـى الإختيـار للإنسـان ، فمـن شـاء فليؤمـن أو ليكفـر ..أتعـرف أنى أكـره كلمـة الكفـر هـذه ؟

ربمـا يكـون الملحـد منكـرا لوجـود الإلـه وغـير مقتنـع بالرسـالات و الانبيـاء لكنـه لا يصـادر عقيـدة المؤمنـين بهـا ..

قلـت ضاحـكا لأخفـف مـن توترهـا : ربمـا لكـن لا نريـد أن نجمـل الألفـاظ و ننكـر الحقيقـة ، إذا لمـاذا تريديـن الطـلاق ؟

ارتسم الوجوم على قسماتها و أخفت دمعة فى عينيها و قالت :

صدقنـى لـو قلـت لـك لا أدرى ، فمنـذ تلـك اللحظـة و نحـن نعيـش و كأننـا فى فنـدق صغـير لا أحـد منـا يلتقـى بالآخـر سـوى فى موعـد الغـذاء ..لقـد تحدثنـا فى هـذا الأمـر

فـما كان منـه إلا أن قـال لى اقـرأى دون تعصـب و دون عاطفـة و فكـرى بنفسـك و لنفسـك ثـم لـك أن تختـاري !

و هل قرأت و فكرت و اخترت ؟ تساءلت فى دهشة.

قطـع الحديـث قـدوم لمياء و كعادتهـا لا تفارقهـا الإبتسـامة التـى تصاحبهـا ، وضعـت فنجانـين مـن القهـوة أمامنـا قائلـة : هـذه لـك مركـزة وزدون سـكر و هـذه لـك يـا هنـد مضبوطـة ، الطعـام عـلى وشـك أن يكـون جاهـزا ، كانـت رائحـة الشـواء مختلطـة مـع رائحـة الملوخيـة الخـضراء تتـسرب مـن مطبـخ لمياء التـى تركتنـا و ذهبـت لتكمـل مـا بدأتـه.

بـدأت هنـد فى احتسـاء قهوتهـا وأعـدت نفسـها للإجابـة التـى فكـرت فيهـا و أردفـت :

قرأت و فكرت واخترت ، لقد أصبحت مثل زياد يا هشام !

وضعـت فنجـانى عـلى المنضـدة ، لقـد باغتتنـى و وجهـت ضربـة قويـة لعقـلي الـذى لم يسـتوعبها و قلـت فى أسى : إذا الطـلاق غـير مجـد ..

لم تسـتطع أن تمسـك دمعتهـا فبكـت وجـاء صوتهـا ضعيفـا : ليسـت هـذه القضيـة و لكـن الحيـاة بيننـا تـكاد تكـون قـد انتهـت ، زيـاد لم يعـرف أنى أصبحـت مثلـه !

وهـو لـن يغـير موقفـه و معتقداتـه بعـد أن أصبـح نجما عـلى الفضائيات وهـو الآن يعـد كتابـا عـن الإلحاد و تاريخـه و حركتـه و مفكريه .

هنـاك لحظـة فارقـة و مسـافة صغـيرة داخـل العقـل قبـل التحـول مـن الإيمـان للكفـر ، إذا تجاوزهـا الإنسـان حـدث التحـول لكنـه يسـتطيع أن يعـود و يعيـد اكتشـاف ذاتـه مـن جديـد ..ألم تقـل ذلـك فى كتابـك الأخـير ؟

تهللـت أسـاريري لكنـى احتفظـت برباطـة جـأشي و اسـتنتجت أنهـا لم تصـل إلى مرحلـة الإختيـار الأخـير و لم تجتـز المسـافة الصغـيرة بعـد ..

كانـت رائحـة الشـواء و الملوخيـة قـد تزايـدت و جـاءت لمياء تعطينـا أمـر الإسـتعداد لتنـاول الغـذاء طلبـت منهـا أن تفتـح النوافـذ ليتجـدد

الهـواء و تذهـب رائحـة الشـواء ، فاتجهـت إليهـا و فتحـت كل النوافـذ و لم تكتـف بذلـك فقـد جـاءت بمعطـر الجـو و نـثرت رائحـة الـورد فتهللـت قسـمات هنـد وأخـذت نفسـا عميقـا و سـألت : مـاذا أفعـل ؟

قلت ضاحكا : افتحى نوافذ عقلك و انثرى عطرك و جددى هواءك..

عن الكاتب

الإسم : صابر عبد الحفيظ محمد

اللقب : صابر الجنزورى

تاريخ الميلاد : ٢٢ مارس ١٩٦٥

محل الميلاد : القاهرة

المؤهل العلمى

١- بكالوريوس علوم . قسم الجيولوجيا ١٩٨٧ جامعة القاهرة

٢- تمهيدي ماجستير فى جيولوجيا البترول أكتوبر ١٩٩٢ «جامعة القاهرة»، عضو اتحاد الجيولوجيين العرب، عضو نقابة العلميين

مجال الكتابة

عضو اتحاد كتاب مصر « فى انتظار الموافقة من اتحاد الكتاب»

كاتب قصة قصيرة، وكاتب مقال اجتماعى وأدبى وسياسى .

صدر ثلاثة ٣ أعمال مجموعتين قصصيتين

وجه آخر للعشق يناير٢٠١٨صدر عن مؤسسة الدار للنشر والتوزيع

ساحة البراءة يناير ٢٠١٩ صدر عن دار السعيد للنشر والتوزيع

وكتاب الكوميديا العالمية يناير ٢٠١٩ صدر عن دار السعيد للنشر والتوزيع.

تحت الطبع

كتاب بعنوان «تحرير العقل والضمير»

تم نشر أعمال قصصية بالصحف الإلكترونية والورقية والمواقع الالكترونية ..

أمثلة

جريدة الفيصل الفرنسية، الدستور العراقى الورقية، موقع الصدى. نت، مصر البلد، مجلة بانوراما الأدب، مجلة حياتي اليوم، مجلة فرقد السعودية

الفهرس

إهداء ٥
سيدنا ٧
شجرة معلقة ١١
الجبل ١٣
هديل الزمن ١٥
عودة قابيل ١٧
نار ونور ١٩
خارج الزمن ٢١
شاشة سوداء ٢٣
من وراء ستار ٢٧
النفير ٢٩
التجمع الثالث ٣١
عند منتصف الليل ٣٥
حُمّى ٣٩
مدن البعوض ٤٣
إنشطار ٤٥
كوخ آدم ٤٩
نوع آخر من الموت ٥٣
فى حضرة المحبوب ٥٥
ذاكرة الورد ٥٧
صوت الخلود ٥٩
هيام ٦١
ديبورا ٦٣
كبرياء ٦٥
قطعة جبن قديمة ٦٧
البهتان ٦٩
قارئة و فنجان ٧١
القَدَر الثالث ٧٣
خشوع هانصور ٧٥
صديقتى ملحدة ٧٩